السياق في التراث العربي والفكر الغربي .

أيمن علي أبو زيد جابر (*)

ملخص البحث باللغة العربية

السياق بمختلف أنواعه له دور كبير في تحديد المعنى، بل في توليد المعنى الجديد أحيانا، والنص إذا لم يوضع في سياقه لن يتحقق الغرض منه، ويعجز المتلقي عن فهمه. فهناك كثير من آيات القرآن الكريم لم يفهم معناها إلا عن طريق وضع الآية في سياقها التاريخي، أو الاجتماعي الذي وردت فيه؛ حتى التراكيب اللغوية تحتاج إلى ما هو أكبر من مجرد القوانين المعجمية، أو الصوتية، أو الصرفية، فإذا لم يوضع النص في سياقه التاريخي، أو الثقافي، أو الاجتماعي لن يتحقق الغرض من فهمه. وارتبط السياق في التراث العربي باللغويين، والبلاغيين، والمفسرين، والأصوليين. وكذلك اهتم علماء الغرب بالسياق اهتماما كبيرا، وأولوا له أهمية كبيرة في دراساتهم وبحوثهم اللغوية .

الكلمات المفتاحية : السياق, السياق التاريخي, أو الاجتماعي, أو الثقافي, السياق في التراث العربي, السياق في الفكر الغربي .

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [السياق وأثره في فهم آي القرآن الكريم عند المفسرين في ضوء نظرية التلقي (نماذج مختارة)] وتحت إشراف: أ.د. وحيد الدين طاهر عبد العزيز – كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي & أ.م.د. حمد الله عبد الحكيم كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أهمية الموضوع

١. يبحث في السياق القرآني، الذي استدل به اللغويون، والبلاغيون، والأصوليون، والمفسرون، في الترجيح بين المعاني والنصوص.
٢. ساعد المفسرين على استنباط المقاصد التشريعية للنص القرآني.
٣. يبحث في نتاج الدراسات الحديثة، والقديمة الخاصة بالتراث العربي الإسلامي.

منهج الدراسة

اعتمدت في دراستي هذه على الجانب التحليلي في تطبيق السياق القرآني,على النماذج المختارة من النصوص القرآنية .

الدراسات السابقة

١. السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، إعداد/ المثنى عبد الفتاح محمود ، إشراف: أ.د / فضل حسن عباس، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الأردنية ٢٠٠١م.
٢. دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية، للوظائف الصوتية، والبنيوية، والتركيبية، في ضوء نظرية السياق، تأليف: أ.د / عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر.

السياق

اقتضت طبيعة الدراسة أن تجئ فى مقدمة, ومبحثين ،.وقائمة بالمصادر والمراجع .

فأما المقدمة : بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختيارى له ، والدراسات السابقة ، والمنهج المتبع.

ثم يتبلور عصب الدراسة في مبحثين :

المبحث الأول : **السياق في التراث العربي** .

المبحث الثاني : **السياق في الفكر اللغوي الغربي** .

المبحث الأول

السياق في التراث العربي .

السياق :

وردت مادة " سوق " في كثير من معاجمنا العربية القديمة، وفي أصل هذه الكلمة يقول (ابن فارس) : "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء. يقال ساقَه يسوقُه سوقًا. والسَّيِقَةُ : ما استيق من الدواب. ويقال سقت إلى امرأتي صداقَها، وأَسقْته. والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سوقٌ، إنما سميت بذلك؛ لأن الماشي ينساق عليها "[1] .

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ١٧٧/٣.

وقد ارتبط السياق في التراث العربي باللغويين، والبلاغيين، والمفسرين، والأصوليين.

السياق عند الأصوليين :

ويعد الشافعي أول من استخدم لفظ السياق، حين عقد بابا في الرسالة وأسماه : " باب الصنف يبين سياقه معناه " وبالرغم من أنه لم يعرفه إلا أنه ساق له أمثلة من القرآن الكريم تدل عليه **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٣) " فابتدأ الحق _ جل ثناؤه_ الآية بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ دل على أنه إنما أراد أهل القرية؛ لأنَّ القرية لا تكون عادية، ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وإنما أراد بالعدوان أهل القرية الذي بلاهم بما كانوا يفسقون " [٢] ويتضح من كلام الشافعي _ رحمه الله _ أنه يعني سياق النص، وإن لم يذكره صراحة، خاصة بعد أن قصد بالقرية أي أهل القرية .

ومن علماء الأصول الذين أولوا السياق أهمية كبيرة (السرخسي) حيث قال : " فيكون النص ظاهرا لصيغة الخطاب نصا باعتبار القرينة التي كان السياق لأجلها

---

(٢) الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) المحقق: أحمد شاكر الناشر: مكتبه الحلبي، مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م، ٦٢/١.

" ومعنى كلامه أنَّ السياق يقصد به الغرض الذي سيق لأجله الكلام، ويستدل على هذا الغرض بقوله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة: ٢٧٥) فإنه ظاهر في إطلاق البيع نص في الفرق بين البيع والربا بمعنى الحل والحرمة؛ لأن السياق كان لأجله، وهنا استخدم الغرض من النص لتحديد السياق، وذكر طريق آخر لتحديد الغرض من النص، وهو فهم الغرض من نص آخر، أو من سبب النزول وهذا يدل على استخدام سياق الموقف، فيقول في سبب نزولها أنها نزلت ردا على الكفرة في دعواهم المساواة بين البيع والربا كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة: ٢٧٥) [(١)] .

السياق عند البلاغيين :

ربط العلماء بين تعريف البلاغة والسياق، فالجاحظ ينقل عن الهنود مفهوم البلاغة, متحدثاً عن صفات الخطيب : " لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفها كل التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما ، أو فيلسوفاً عليما ... ومدار الأمر على أفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم"[(٢)]. ويستمر الربط بين البلاغة والسياق من جهة التعريف إلى عصر الخطيب القزويني حيث

(١) ينظر : أصول السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٨٣ هـ)، حقق أصوله: أبو الوفا الأفغاني (رئيس اللجنة العلمية لإحياء المعارف النعمانية)، الناشر: لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد بالهند،(وصورته دار المعرفة – بيروت، وغيرها)، ١/١٦٤.

(٢) البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ، ١/ ٩٥.

يقول : " وأما بلاغة الكلام: فهي مطابقته لمتقضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف. فإن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافة، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام.. إلى غير ذلك" [(١)].

والمستنبط من كلام القزويني أنه يشير في تعريفه إلى نوعين من السياق، سياق داخلي (لغوي) والذي أشار إليه بقوله : "فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ومقام التقديم يباين مقام التأخير" وسياق خارجي (غير لغوي) والذي أشار إليه بقوله : " وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام " . والقزويني في نصه يساوي بين المقام والحال وإشارته إلى خطاب الذكي وخطاب الغبي، يضعنا أمام مصطلحات ثلاثة هي (الحال، المقام، الخطاب) وكلها تستعمل بمعنى واحد وهو السياق .

السياق عند اللغويين :

عني اللغويون بالسياق عناية كبيرة وبخاصة الألفاظ، ويتضح ذلك فيما نقله ابن يعيش عن ابن جني : " اعلم أنَّ الألفاظ أدلة المعاني، وقوالب لها، وإنما اعتنوا بها وأصلحوها؛ لتكون أذهب في الدلالة" ، ثم يوضح قائلًا أنَّ المعنى قد يأتي على

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت ٧٣٩هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل – بيروت، ط٣، ١/ ٤٢، ٤٣.

أحوال كثيرة، كمعنى المضي، والحال، والاستقبال، والفاعلية، والمفعولية، وغيرها[٢]، ويفهم من كلامه الحاجه الماسة لدلالة سياق اللفظ.

ونقل ابن يعيش عن سيبويه أنه قسم الألفاظ إلى ثلاثة أقسام وهي :

١) اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين .

٢) اختلاف اللفظين والمعنى واحد .

٣) اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين .

ثم قام بتوضيح كل قسم على حده ففي القسم الأول وهو اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، فاعتبره أنه هو الوجه والقياس الذي يجب أن يكون عليه الكلام، وذلك بأن يكون بإزاء كل معنى لفظ يختص به، ولا يشركه فيه غيره، فتنفصل المعاني بالألفاظ، ولا يحدث فيها لبس.

أما القسم الثاني فهو اختلاف اللفظين والمعنى واحد، وقال أن هذا القسم في الحسن بعد القسم الأول، وأتى به بغرض الحاجه إلى التوسع بالألفاظ؛ وضرب مثلا بالشاعر أو الساجع لو افتقر

لاستعمال معنى مثل " قعد" مع قرينة سينية أي قافية، فيستعمل معنى مثل "جلس"، ولو لم يستعمل في هذا المعنى إلا لفظ "قعد" لضاق عليه المذهب، ولكن استعماله لـ " جلس" دليل على التوسع في استخدام معنى اللفظ ودلالته إذا كانت تؤدى نفس سياق المعنى .

أما القسم الثالث فهو اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، وقصد به ألاّ يكون اللفظ قصداً في الوضع ولا أصلاً، ولكنه من لغات تداخلت، أو يكون كل لفظ مستعملاً

(٢) شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، تحقيق: فخرالدين قباوة، الناشر : المكتبة العربية ، حلب ،ط١، ١٩٣٩هـ، ١٩٣٧م، ٩٦.

لمعنى، ويستعار لشيء آخر، ثم يكثر ويغلب فيصير بمنزلة الأصل. ومن الأمثلة التي ضربها لهذا القسم لفظ " وجد " من الضَّالة و " وجد " من الغضب[١] وفي هذا دلالة على أن السياق هو الفيصل في هذا النوع من الألفاظ.

ويقول ابن الأنباري : " إنَّ كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين؛ لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد "[٢] .

السياق عند المفسرين :

المفسرون من أسبق العلماء الذين اهتموا بالسياق، واستعانوا به كوسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى، وتناول المفسرون القرآن الكريم بكل ما تناوله الآخرون من قراء، ولغويين، وبلاغيين وفقهاء ...وغيرهم؛ ولذلك يعرفه أبو حيان قائلاً : " التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك .. "[١] .

ويذكر الزركشي تعريفاً للتفسير فيقول : " علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم)، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه،

(١) ينظر : شرح الملوكي في التصريف، ٩٦، ٩٧، ٩٨.
(٢) الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ٢.
(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، ١/ ٢٦.

واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ " [٢] .

ولعل من أوضح التعاريف للتفسير، ما نقله السيوطي عن بعض المفسرين فيقول : " التفسير كشف معاني القرآن، وبيان المراد منه، سواء أكانت معاني لغوية، أو شرعية بالوضع، أو بقرائن الأحوال، ومعونة المقام " [٣] .وهذا التعريف ذو دلالة خاصة بموضوع السياق لارتباطه بقرائن الأحوال، ومعونة المقام .

(٢) البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار التراث، القاهرة ، ١/ ١٣.

(٣) التحبير في علم التفسير، الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت : ٩١١هـ)، الناشر : دار الفكر ،ط١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م، ٣٨.

المبحث الثاني
السياق في الفكر الغربي

لقد اهتم علماء الغرب بالسياق اهتماما كبيرا، وأولوا له أهمية كبيرة في دراساتهم وبحوثهم اللغوية، ومن هؤلاء (مالينوفسكي)، الذي درس عددا من اللغات البدائية في جزر تروبرياند، ووجد صعوبة في ترجمة نصوصها، وأخفق في الوصول إلى ترجمات مرضية لها، ولكنه وصل إلى حقيقة مهمة هي أن هذه اللغات لا يمكن أن تؤدي معنى، إلا إذا عرف الحال التي كان عليها المتكلم حين نطق بها . بذلك يكون مالينوفسكي أول من استعمل مصطلح سياق الحال، ويعني هذا المصطلح : الموقف الفعلي الذي حدث فيه الكلام، ولكنه يقود إلى نظرة أوسع للسياق تضم الخلفية الثقافية التي وضع الحدث الكلامي بإزائها " والدليل على ذلك حينما عجز عن الوصول لترجمة مرضية للنصوص التي سجلها، فقد سجل على سبيل المثال (صاحب زورق . طويل خفيف ضيق يقاد بمجدف) ترجمه على النحو التالي : " نحن . نجري أمام . خشب أنفسنا ... نحن نتحول نحن . نرى زملاءنا هو . يجري ينصب . خشب " فزعم مالينوفسكي أنَّ هذا الكلام المنطوق يكون له معنى فقط لو رأيناه في السياق الذي استخدم فيه، وهنا يعني سياق الحال. فأكد مالينوفسكي بذلك أن اللغة هي أسلوب عمل وليست توثيق فكر[1] .

(١) ينظر: علم الدلالة، ف. ر بالمر، ترجمة : صبري إبراهيم السيد، ط١، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٥م، ٧٤، ٧٥.

لقد بنى مالينوفسكي نظرته حول السياق على ما توافق عليه الناس والمجتمع، وضرب بذلك أمثلة من تعبيرات تستخدم في الحياة اليومية ذات مغزى خاص نحو كيف حالك ؟ **HOW do You do**

ومثل هذه التعبيرات تخلق شعور بالتفاهم الوجداني والاجتماعي من ناحية المعاملة الاجتماعية، لذا أطلق مالينوفسكي على هذا الوجه من اللغة " لغة المجاملات "، وبهذا أكد مالينوفسكي أنَّ السياق الذي يقصده هو الواقع الثقافي للمجتمع(٢) .

ثم تطورت نظرية مالينوفسكي حول السياق باستعمال فيرث لها في دراسته اللغوية، ومن ثَمَّ نتطرأ للسياق عند فيرث .

لقد تأثر فيرث في نظريته بـ (مالينو فسكي) أحد علماء علم الانثربولوجيا أي : علم الإنسان، وتقوم نظرية فيرث على النظر إلى المعنى بوصفه وظيفة في السياق، ولهذا صرح فيرث : " بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة "(١) .

وقد استخدم فيرث السياق في هذه النظرية بمفهوم واسع بحيث يشمل السياق الصوتي، والصرفي، والمعجمي، والنحوي، وبهذا لا يظهر المعنى المقصود للمتكلم إلا بمراعاة الوظيفة الدلالية للألفاظ

(٢) ينظر: علم الدلالة، ف. ر بالمر، ٧٥.

(١) عبقرية النثر العربي، دراسة لغوية تحليلية في كتاب "الإشارات الإلهية" لأبي حيان التوحيدي، أيمن عبد اللطيف أبوزيد، تقديم : مصطفى رجب، الناشر: العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ١٨٤.

المستخدمة. وعلى هذا الأساس فرق فيرث بين خمس وظائف أساسية مكونة للمعنى :

١) الوظيفة الصوتية.

٢) الوظيفة الصرفية.

٣) الوظيفة المعجمية .

٤) الوظيفة التركيبية .

٥) الوظيفة الدلالية .

وتتحدد كل وظيفة من هذه الوظائف في إطار منهج يعرف بمنهج الإبدال، ولا يظهر معنى العنصر اللغوي على أي مستوى من المستويات الخمسة المذكورة إلا بتميزه السياقي من مقابلاته التي يمكن أن تقع موقعه في ذلك السياق، فإذا لم يكن ثمة بديل سياقي ممكن لذلك العنصر اللغوي فلن يكون له معنى " [٢] .

ويتضح ذلك بنماذج وأمثلة نحو :

١) هذا حسن بسن . ٢) حضر عشر مدرسات .

فكلمة " بسن " في المثال الأول ليس لها معنى ؛ لعدم أدائها وظيفة سياقية، ولأن الوظيفة تقتضي كونها بديلاً ممكناً لغيرها من الكلمات، وهنا ليس لها بديل، ولذا فليس لها معنى.

أما في المثال الثاني فإن كل عنصر من عناصرها له معنى لوجود بدائل سياقية ممكنة لها، فعلى المستوى المعجمي حيث وقعت كلمة " حضرت " بديلاً فعليا لمقابلات أخرى محتملة مثل غابت، نجحت، رسبت ...إلخ، وجاءت كلمة "عشر" بديلاً لتسع، وثمان، وإحدى عشر إلخ، وجاءت كلمة مدرسات بديلاً

(٢) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط١، بنغازي، ٢٠٠٤م، ٢٨.

مقصودا طالبات، موظفات إلخ، وعلى المستوى الصرفي جيء بكلمة "حضر" على وزن فَعل بدلاً من يفعل ، أفعل، فاعل، ومفعول إلخ؛ للدلالة على الفعل الماضي، وجيء بكلمة "مدرسات" بصيغة اسم الفاعل بدلاً من أي صيغة ممكنة للدلالة على اسم الفاعل، وجيء (ات) بدلاً من (ين) مثلاً للدلالة على جمع المؤنث السالم(١) .

ولهذا وضع فيرث أركانا ثلاثة يقوم عليها منهجه في دراسته للغة كما يرى الدكتور كمال بشر هي :

١) **الركن الأول:** عنده هو سياق الحال، أو المقام، ووجوب كل اعتماد لغوي على المقام مع ملاحظة كل ما يتصل بهذا المقام من عناصر أو ظروف وملابسات وقت الكلام الفعلي.

٢) **الركن الثاني** : هو تحديد بيئة الكلام المدروس وصيغته؛ لأنَّ تحديد البيئة يضمن عدم الخلط بين لغة وأخرى، أو لهجة وأخرى، أو بين مستوى ثقافي وآخر اجتماعي، وهذا الخلط من شأنه أن يؤدي إلى نتائج مضطربة غير دقيقة؛ وذلك لاختلاف المادة التي أخذت منها هذه النتائج، فيجب أن تكون اللغة مقتصرة على مستوى ثقافي واحد، ومستوى كلامي واحد .

٣) **الركن الثالث** : هو تحليل الكلام إلى عناصره، ومكوناته الأولى، باستخدام معطيات فروع علم اللغة المختلفة، من صرف، نحو، أصوات، ومعجم، وهذا يؤدي إلى كشف جزء من المعنى، ولكن الدلالة الكاملة لا تتضح إلا من خلال السياق أو المقام " (٢).

---

(١) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ٢٩.

(٢) ينظر : نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية، عبد النعيم خليل، الناشر : دار الوفاء، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٧، ٢٧٧، ٢٧٨.

وكما ذكرنا آنفا أنَّ فيرث وضع خمسة أسس لدراسة المعنى (صوتي، صرفي، معجمي، وتركيبي، ودلالي) فمعنى وضع خمسة أسس لدراسة المعنى عند فيرث معناه أنَّ المعنى الدلالي لكلمة ما، يتطلب الوقوف على هذه الوظائف جميعا، ومثالاً على ذلك كلمة " ولد " لا يتضح معناها إلا بعد النظر في جميع الوظائف السابقة التي حددها فيرث .

فعلى المستوى الصوتي اعتبار كلمة " ولد" مورفيم حر، مركب من عدد معين من الفونيمات هي / و/ + / ل/ +/ د/ . وهذه الفونيمات على هذا النحو من الترتيب هي جزء من معنى الكلمة، وتكوين هذه الكلمة على هذه الصورة الصوتية بالذات، جعل لها معنى خاصا عن كلمة " بلد " مثلاً . وعلى المستوى المعجمي كلمة " ولد" تختلف كذلك عن كلمات مثل : بلد ، وجد، ولع. بحيث ندرك ذلك إذا ما استبدلنا كلمة " ولد " بهذه الكلمات في جملة معينة نحو (ولد نحيل) فإذا قلنا (بلد نحيل) لم يستقم المعنى لنا . وعلى المستوى الصرفي كلمة " ولد " لها معنى صرفي معين، ندركه حينما نجعل جزء من معنى الكلمة قد يكون فعلاً وقد يكون اسما، وفي الحالة الأولى قد يسند إلى المذكر، أو المؤنث مفردا ومثنى وجمع، وفي الحالة الثانية قد يكون مفردا أو مثنى أو جمع تكسير. وعلى المستوى النحوي كلمة " ولد " ندرك ذلك عن طريق بيان خصائصها النحوية، أو وظيفتها في الجملة.

وقد يكون لها معنى اجتماعي، ويتم هذا المعنى عن طريق تتبع هذه الكلمة، اسما أو فعلاً في الاستعمالات المختلفة في البيئة الاجتماعية المعينة[1] .

(١) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية، عبد النعيم خليل، ٢٧٩، ٢٨٠.

أما عن سياق الموقف أو المقام عند فيرث، فهو يعني مجموعة من العناصر والملابسات التي تتضح وقت الكلام الفعلي، وهذه الظروف أو الملابسات تتمثل في :

١) شخصية المتكلم والسامع وتكوينها الثقافي، وشخصيات من شهد الكلام إن وجدوا ودورهم.

٢) العوامل والظواهر الاجتماعية، والمناخية ذات العلاقة باللغة وبالسلوك اللغوي وقت الكلام.

٣) أثر الكلام في المشتركين، كالاقتناع، أو الألم، أو الإغراء أو الضحك، أو غير ذلك.

وهذه الظروف والملابسات التي تحدث عنها فيرث في نظريته تعتبر الأساس في هذه النظرية، لما لها من أثر واضح في الكشف عن المعنى ، وأشار أستاذنا (عبد النعيم خليل) للأمثال العامية كمثل حي لهذه النظرية، كقول أهل الريف لمن يرسب في الامتحان "السنة دورة نخلة" أو قد تقال في أي أمر آخر كدخول أحد أفراد الأسرة الجيش أو غير ذلك، لو حللنا هذا المثل على جميع المستويات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، والدلالية، منعزلة عن سياقها الحي لما وصلنا إلى المقصود من هذ المثل، إلا بعد استحضار السياق الاجتماعي الذي يقال فيه بكل عناصره وملابساته، فنستنتج من خلال السياق الاجتماعي وظروفه وملابساته المحيطة به، أنَّ الغرض منه التخفيف والتعزية لمن يرسب، أو أقدم على أمر ما،

بأن السنة التي رسب فبها سرعان ما تنتهي، ويأتي عام آخر سيكون فيه من الناجحين[1] .

وبناء على ما سبق نستنتج أن فكرة المقام أو سياق الحال هي الأساس الذي يدور حوله علم الدلالة عند أصحاب المدرسة الإنجليزية .

ومن خلال ما سبق عرضه من آراء القدماء والمحدثين، أجزم بأن السياق هو البيئة التي ينشأ فيها الحدث الكلامي، مع مراعاة الظروف والملابسات التي ينشأ فيها ذلك الحدث.

فإذا كنت تعيش في بيئة صحراوية فإنك تسمع قولهم : " فلان يعرف من أين تؤكل الكتف " فمن السياق نفهم أنه خبير بالحياة وتجاربها، وكذلك بالنسبة للبيئة الساحلية حينما يقولون

: " فلان يعرف كيف ترمى الشباك "، وكان العرب يكنون عن الكرم قولهم : " فلان جبان الكلب" أو " فلان مهزول الفصيل "، فإذا لم تكن من أهل هذه البيئة فلم تعرف ما المقصود من سياق هذا التعبير، فقد كان من عادات العرب أنَّ الكلب لا ينبح على الضيوف نتيجة لترددهم على بيت صاحبه كثيرا مما يجعله يجبن ويكف عن النباح، ويعني هذا عندهم كرم صاحبه، وكذلك في قولهم : فلان مهزول الفصيل " فإن أخضعنا المثل للناحية اللغوية لم نفهم سياقه الذي يدل عليه ، " مهزول الفصيل " أي ضعيف، ولكن كان من عادات العرب أنهم يحرمون ابن

(١) ينظر: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ٢٨٣.

الناقة من لبن أمه ليقدم للضيوف، أو يذبح إكراما لهم[٢] . وهذا يعني أن السياق هو المقام والمقام يخضع لثقافة البيئة التي ينشأ فيها الحدث الكلامي .

نتائج البحث :

- يتضح مما سبق أنَّ السياق ارتبط في التراث العربي باللغويين، والبلاغيين، والمفسرين، والأصوليين, فعند الأصوليين هو الغرض الذي سيق من أجله الكلام, وكذلك رط علماء البلاغة بين البلاغة والسياق, فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته, ومقتضى الحال مختلف, عني اللغويون بالسياق عناية كبيرة وبخاصة الألفاظ, فالمعنى قد يأتي على أحوال كثيرة كمعنى المضي والحال, والاستقبال والفاعلية والمفعولية وغيرها . والمفسرون كانوا من أسبق العلماء الذين اهتموا بالسياق، واستعانوا به كوسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المعنى .
- وكذلك اهتم علماء الغرب بالسياق اهتماما كبيرا وأولوا له أهمية كبيرة في دراساتهم وبحوثهم اللغوية ومن هؤلاء (مالينو فسكي, فيرث), وقد بنى مالينو فسكي نظريته حول السياق على ما توافق عليه الناس والمجتمع, وكذلك فيرث الذي تأثر في نظريته بـ (مالينو فسكي), وتقوم نظرية فيرث على النظر إلى المعنى بوصفه وظيفة في السياق، ولهذا صرح فيرث : "

(٢) ينظر : نظريات تطبيقية في علم البيان، عبد الفتاح سلامة، الناشر : دار المعارف، مص، ط١، ١٩٧٣م، ١٨٢.

بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة .

المصادر والمراجع:

- أصول السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٨٣ هـ)، حقق أصوله: أبو الوفا الأفغاني (رئيس اللجنة العلمية لإحياء المعارف النعمانية)، الناشر: لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد بالهند،(وصورته دار المعرفة – بيروت، وغيرها)
- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت ٧٣٩هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل – بيروت، ط٣.
- الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م،.
- البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار التراث، القاهرة .
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ .

- التحبير في علم التفسير، الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت : ٩١١هـ)، الناشر : دار الفكر ،ط١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م.
- شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، تحقيق: فخرالدين قباوة، الناشر : المكتبة العربية ، حلب ،ط١، ١٩٣٩هـ، ١٩٣٧م .
- الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) المحقق: أحمد شاكر الناشر: مكتبه الحلبي، مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- عبقرية النثر العربي، دراسة لغوية تحليلية في كتاب "الإشارات الإلهية" لأبي حيان التوحيدي، أيمن عبد اللطيف أبوزيد، تقديم : مصطفى رجب، الناشر: العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٨م .
- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط١، بنغازي, ٢٠٠٤م.
- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية، عبد النعيم خليل، ٢٧٩ .
- علم الدلالة، ف. ر بالمر، ترجمة : صبري إبراهيم السيد، ط١، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٥م .